العوامل المساهمة في ظهور الجريمة والانحراف (1)

إنَّ أهم ما في علم الإجرام هو تفسير الظاهرة الإجرامية أي الأسباب التي تؤدي إلى الجريمة والأسباب تجمع على عاملين العوامل الداخلية والعوامل الخارجية بمعنى أدق وجود فكرة تعدد الأسباب، فالبعض يبني تصوراته على سبب واحد فيفسر الجريمة بأنها ثمرة عامل واحد بينما البعض الآخر يرى بأنَّ تعدد الأسباب هو المؤدي إلى تفسير الجريمة إذن " لا يمكن الاعتراف بعامل واحد في كل جريمة، سواء كان ذلك السبب فرديا أمْ اجتماعيا، إذ أنَّ الجريمة في نظرهم تكون دائماً بجمع من عوامل داخلية أو خارجية وكل عامل منها يكون له تأثيره النسبي و دوره الذي يسهم به مع غيره من العوامل في وقوع الجريمة أو دفع المجرم إلى ارتكابها "العوامل الإجرامية تنقسم إلى: نوعين رئيسيين هما:

أولأً- داخلية (فردية )

1- العوامـــل الداخلية: والتي يقصد بها العوامل التي تدفع شخص بذاته إلى ارتكاب جريمة معينة ويشتهر بدراسة هذه الأسباب علم الأنثروبولوجيا الجنائية "علم طبائع المجرم" و يلجأ الباحث في هذا الفرع من علم الإجرام إلى إحدى الوسيلتين: الأولى دراسة المجرم من ناحية عضوية أي دراسة أشكال أعضائه الخارجية وأجهزته الداخلية أو وظيفة الجهاز الداخلي. والوسيلة الثانية هي دراسة المجرم من ناحية نفسية أي البحث عن غرائزه وميوله ورغباته وعواطفه ودرجة ذكائه …

فالبحث في هذه العوامل هو مجال أو نطاق واسع من دراسة الأشخاص سواء كانوا راشدين أمْ غير راشدين "جنوح الأحداث" وتنقسم العوامل الداخلية إلى عوامل أصلية وعوامل مكتسبة.

أ- العوامل الأصلية: عبارة عن الصفات والخصائص التي تتوفر في الشخص منذ ولادته وهذه العوامل تتعلق بــــــ:

\* التكوين الطبيعي للمجرم: ثلاث نظريات اهتمت بتكوين الطبيعي للمجرم هي النظرية العضوية، الفينولوجية النفسية: لمبروزو وفرويد ، (أرجع إلى النظريات)

\* الوراثة وعلاقتها بالإجرام: والذي يرجع إلى فحص أشجار العائلات والمقارنة بين المجرم والرجل البدائي، وما بين المجرم والأب والأجداد والأبناء وما يتعلق بالكروموزوم البيولوجي وكذلك المقارنة بين التوائم. هناك مقارنة بين المجرم والإنسان البدائي (نظرية داروين: القرد إنسان وحش) الإنسان البدائي هو إنسان يقتل ليعيش يحافظ على منطقته وهذا ما أدى بالمبروزو إلى تشبيه المجرمين بالإنسان البدائي كوسيلة لإثبات وراثة الإجرام وذهب أيضا إلى الاعتقاد بأن المجرم النموذجي هو المجرم بالفطرة أي ذلك الإنسان الذي يولد ولديه ميل طبيعي للإجرام.

- فحص أشجار العائلات: قام الباحثون بفحص أشجار عائلتين: عائلة جوكاس (مجرم) وعائلة جوناتال (غير مجرم) في عائلة جوكاس وجد فيها 140 شخص من المجرمين 7 أشخاص قاموا بجريمة قتل و60 بجريمة سرقة و 5 بجريمة الدعارة و23 بجرائم مختلفة وهذا من بين 1200 شخص أمَّا عائلة جوناتال لم يجد أي شخص ارتكب جريمة في 1200 شخص، ومعظمهم من رؤساء ومحامين وأطباء .

- التشابه بين الآباء و الأبناء والاخوة: لقد حاول جورنج GORING عن طريق المقارنة بين الآباء والأبناء والأخوة أنْ يثبت وجود ميل موروث نحو الإجرام، كما حاول أنْ يدلل على أنَّ الظروف البيئة كعامل إجرامي ليست لها أهمية كبيرة مقارنة بالوراثة والميل . وقد حاول أنْ يتبث من عدة مقارنات أجراها في هذا السبيل أنَّ نسبة التشابه بين الآباء والأبناء في السلوك الإجرامي هي نسبة 60 % وهي نفس نسبة التشابه بينهم في القامة والوزن ولون العينين والشعر .. وغيرها من المظاهر الفيزيولوجية، أمَّا نسبة تشابه الأخوة في سلوكهم الإجرامي هي 40 % وهذه النسبة أيضا تكون هي نفس نسبة التشابه بينهم من الناحية الفيزيولوجية، ويفسرها الباحث ذلك بوجود عامل وراثي.

- دراسة التوائم: قام بهذه الدراسة العالم لانجر LANGERE وهذه الدراسة استندت على نوعين من التوائم حقيقية وغير حقيقية وقد بينت هذه الدراسة أن 77 % من التوائم الحقيقيين لديهم بعض الميول الإجرامي، أمَّا 12 % من التوائم غير الحقيقية يتميزون بنوع من الميول إلى السلوك الإجرامي . وهذه الفكرة عجزت على أنْ تثبت رأيها لأنَّ العدد كان قليل وغير ممثل وكذلك تقسيم التوائم لاندري إن كان فعلا حقيقيين أم غير حقيقيين .

- النوع و الجنس: كثيراً من الباحثين يقولون بأنه توجد اختلاف كبير في الإجرام عند الذكور و الإناث، فنسبة الإجرام تكون مرتفعة عند الذكور ومنخفضة عند الإناث، فبعض الإحصائيات والعلماء يرون في هذا الاختلاف اختلاف نسبي وهذا لعدة أسباب: أن المرأة كثيراً ما تكون هي الباعثة الحقيقية على ارتكاب الجريمة بمعرفة الرجل – مثال الدعارة إذا اعتبرت كجريمة وهذا يرفع من نسبة الإجرام عند النساء– وإنَّ إجرام النساء يفوق إجرام الرجل في فترة الحروب، ويفسر ذلك من ناحيتين: ناحية عضوية حيث نجد أن المرأة دائماً عاطفية. والناحية الثانية ناحية اجتماعية تتعلق بصلة أو طبيعة الدور الذي تلعبه المرأة في المجتمع فهي في بعض الدول فالمرأة لا تخرج إلى الحياة العامة وبالتالي لا تتعرض للاحتكاك بالغير ما يقلل اقترافها للجرائم وهي دائماً في كنف الرجل الذي يقوم بحمايتها ويحول بينها وبين التعرض للمشكلات الاجتماعية وتبتعد عنها كل السلوكات الإجرامية بمختلف أنواعها.

- السلالة البشرية: يعتقد العلماء في الولايات المتحدة الأمريكية أنَّ الزنوج لهم ميل قوي للإجرام ويقوم هذا الاعتقاد على أنَّ الزنوج بحكم تكوينهم الطبيعي لا يستطيعون التحكم في ضبط عواطفهم لذلك فهم كثيراً ما يرتكبون جرائم الاعتداء على الأشخاص. و قد أثبتت الدراسات الأمريكية في هذا الشأن أنَّ نسبة الإجرام تتزايد لدى الزنوج و تقل نسبياً لدى الهنود ثم الصينيون ثم الأمريكيون البيض، وأن أقلهم نسبة في الإجرام اليابانيون؛ فحسب إحصاء عدد المقبوض عليهم في الجرائم من كل جنس والتفسير الصحيح لهذه الظاهرة أنَّ ذلك التفوق يرجع إلى عدة عوامل اجتماعية مختلفة منها: الوضع الاجتماعي- التمييز العنصري- المستوى الاقتصادي والاجتماعي للزنوج- شعور الزنوج بالحقد والسخط على البيض …إلخ

- الضعف والخلل العقلي: ينبغي الفرقة بين الضعف العقلي والخلل العقلي على اعتبار إنَّ الضعف العقلي حالة تصيب الفرد منذ ولادته وهو ما يسمى بالتخلف العقلي، أما الخلل العقلي فيقصد به المرض العقلي أو الجنون.

\* الضعف العقلي: لقد اهتم الباحثون في علم الإجرام والانحراف بدراسة آثار الضعف العقلي في الظاهرة الإجرامية إلى درجة أنْ ذهب البعض إلى حد القول أنَّ معظم حالات الإجرام يمكن تفسيرها بالضعف العقلي، لأن صاحبه لا يتمتع بقدرة أو بقدر كاف من الإدراك يسمح له بالتحكم في سلوكه الإجرامي، ويتفق علماء الإجرام على أنَّ الضعف العقلي لا يعد سبباً رئيساً إلاَّ في طائفة المجرمين الأحداث لأنَّ الحدث ضعيف العقل يكون غالباً غير قابل لإتمام مراحل الدراسة وغير قادر على التكيف الاجتماعي ما يدفعه إلى الإجرام، فالضعف العقلي عامل إجرامي محدد نسبيا.

\* الخلل العقلي: أغلبية علماء الإجرام لا يريدون التحدث عن الخلل العقلي ويحبذون مصطلح الجنون والجنون حسبهم أنواع منها: جنون الإرادة الذي يعدّ مرض عقلي يقتصر تأثيره على الإرادة، وهو عبارة عن رغبة مكبوتة تثير القلق وعدم الاستقرار فتسيطر على إرادة المريض دوافعه شاذة تدفعه إلى ارتكاب جريمة معينة دون غيرها من الجرائم و كذلك تتعدد أسماء هذا الجنون التي يقبل المريض على ارتكابها مثل: جنون السرقة أو جنون الحريق. ونخلص من ذلك أنَّ الخلل العقلي قد يكون سبباً في امتناع المسؤولية الجنائية أو سبباً لإنقاص تلك المسؤولية، وربما لم يكن كذلك أثناء ارتكابه الجريمة.

- الأمراض العصبية والنفسية: من بين هذه الأمراض هناك أربعة أنواع : الهستيريا– الصرع النفسي– اليقظة النومية- النيوراسينيا " العياء النفسي"؛ فالهستريا مثلاً الجرائم تكون فيها نسبية في جرائم القتل العاطفي– سرقة المحلات الكبيرة– جرائم البلاغ الكاذب. أمَّا الصرع النفسي وهو نوبات يفقد المريض من خلالها ويتعرض لدوافع لا قدرة له على مقاومتها فيتعمد على ارتكاب الجرائم خاصة في الوقت الذي يشعر بالنوبة وفقدان الوعي. في حين نجد اليقظة النومية التي تعبر عن حالة مرضية تظهر في أنَّ المريض يقوم أثناء نومه ببعض الأفعال تنفيذاً لما يعرض له من صور ذهنية دون أنْ يحس بما يفعله ولا تكون له قدرة التحكم في سلوكه ولا يدرك عندما يصحو ما يفعله وهنا يمكن أنْ يكون هذا المرض سبباً في عديد من الجرائم . وتعد النيوراسينيا وهي ضعف يصيب الجهاز العصبي ويؤدي إلى إنقاص سيطرة أعضاء الجسم كما يؤدي إلى إضعاف الإرادة فيقدم لإنسان على ارتكاب الجريمة الناجمة عن ضعف إرادته وقلة مقاومته.

- الأمراض النفسية السيكوباتية: يتميز السيكوباتي بخصائص رئيسية تؤدي به إلى ارتكاب الجرائم وهي عجز عن التحكم في غرائزه ويتميز بسلوك اجتماعي منحرف، تظهر عنده أنانية، فشل في التجاوب الوظيفي وكلها علامات قد تهيئ له الظروف لارتكاب الجرائم .

- ظروف الحمل والولادة: ويتعلق الأمر بــ :

+ المولود الأوَّل: فقد كشفت الدراسات الأولى عن فكرة المولود الأوَّل بالقول التالي: "هناك نقص أو انحطاط في شخصية المولود الأوَّل وهذا راجع لسببين بيولوجي واجتماعي " فأما البيولوجي: ويتعلق بصعوبة عملية الولادة الأولى ومن ناحية أخرى إلى عدم اكتمال النضج الجنسي للوالدين. أمَّا السبب الاجتماعي: وهو سبب رئيس متمثل في عدم اكتساب الوالدين الخبرة في تربية الطفل الأوَّل وأيضا في شدة اهتمامهم به وقلقهم عليه. وأخيراً الصراع النفسي الذي ينتابه حين ما ينتقل من وضعية طفل وحيد إلى طفل وسط إخوته وهو ما يخلق لديه الغيرة .

+ الابن الوحيد: يتميز بميل غير مألوف إلى الإجرام وأنه من المحتمل أنْ يكون مجرماً أكثر من غيره ويفسر ذلك بأمرين: الأول: شدة قلق الوالدين عليه واهتمامهم به. والثاني صعوبة توفيقه مع أقرانه في طفولته المبكرة. لكن اتضح بعد دراسات واتر بارغ WETTER BERG) (1949) بأنَّ ميل الطفل الوحيد إلى الإجرام يرتبط باختلاف الطبقات الاجتماعية والعرقية والدينية والاقتصادية، معنى هذا أنه لا توجد علاقة ثابتة بين حالة الطفل الوحيد وبين ظاهرة الإجرام وغيرها من صور السلوك الإنساني .